معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس أصول السُّنَّة

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

الدرس رقم (8)

التاريخ: الاثنين 01/جمادى الأول/1440 هـ

07/كانون الثاني/2019 م

عنوان هذا الدرس

(الإيمان بالميزان، وبالعرض على الله، وبالحوض، وبعذاب القبر ونعيمه) .

ملخص الدرس الثامن:

اشتمل هذا الدرس على المواضيع الآتية:

1. الأصل العاشر: الإيمان بالميزان.
2. الأصل الحادي عشر:الإيمان بالعرض على الله يوم القيامة، ويتضمن الإيمان بالرؤية بلا حجاب، والكلام بلا واسطة.
3. الأصل الثاني عشر: الإيمان بالحوض.
4. الأصل الثالث عشر: الإيمان بعذاب القبرونعيمه

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس الثامن من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد؛

فهذا هو **المجلس الثامن** من مجالس شرح أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ولابد وقبل أن نبدأ بدرس هذه الليلة من التنبيه على أمور:-

الأمر الأول: هو أنني أتراجع عن خطأ صدر مني في الدرس الثالث، وذلك عند التعليق على حديث الصحابة الذين جاءوا إلى بيت من بيوت النبي ﷺ وسألوا عن عبادة فأُخبِروا بذلك فكأنهم تقالُّوها. . . الحديث.

فقلتُ يومئذ:(أُنظر أتبعوا عقولهم وتركوا السنة) فنبهني أحد الطلبة جزاه الله خيرا إلى خطأ هذا القول؛ وذلك أن هذه العبارة تحتمل معنى باطلاً، فقد يُفهَم منها الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، والله يشهد أنني لم أقصد ذلك وما أردتُ إلا الخير.

فأردتُ أن أوضح خطورة تقديم العقل على السنة، ولكن الحق أحق أن يُتّبَع، فهذه العبارة لا يجوز أن تُطلَق على الصحابة، لا يجوز لي ولا لغيري أن يقول إن الصحابة قدّموا عقولهم على السنة! لأن هذا منهج أهل البدع، أهل البدع هم الذين يقدمون عقولهم على السنة،

أما أولئك الصحابة فنقول: إنهم لما علموا أن النبي ﷺ قد خصّه الله بمغفرة ذنبه كله ما تقدم منه وما تأخر؛ فإنهم حينئذ اجتهدوا فأرادوا أن يزيدوا في عبادتهم وظنوا أن ذلك جائز فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلك وبيّن لهم الصواب، فاتّبعوا الحق على الفور رضي الله عنهم واستجابوا - وأهل البدع لا يستجيبون بهذه الطريقة - فكان خطأ أولئك الصحابة رضي الله عنهم ناتجاً عن اجتهاد لا عن هوى ولا عن تقديم العقل على السنة؛ هذا كله باطل.

الأمر الثاني: قلتُ في الدرس الثالث أيضا، في معنى قول الراوي " **كأنهم تقالُّوها** "؛ قلتُ:(أي قالوا إن عبادة الرسول ﷺ قليلة). .

وهذا خطأٌ أيضاً، فإنهم لم يقولوا ذلك، فقول الراوي " كأنهم تقالُّوها "؛ المراد منه أنهم أرادوا الزيادة في عبادتهم لأنهم تقالُّوها في حق أنفسهم، وليس في حق الرسول ﷺ، فلم يقولوا إن

عبادة الرسول قليلة، ولكن تقالُّوها في حق أنفسهم فأرادوا الزيادة. هذا هو الصواب والله أعلم.

فإنني أتراجع عن هاتين العبارتين وأستغفر الله وأتوب إليه سبحانه وتعالى، وأشكر من نبهني جزاه الله خيراً، وأشكر كل من ينبهني على أخطائي.

الأمر الثالث: في الدرس الماضي - وهو الدرس السابع - عندما شرحت قول الإمام أحمد رحمه الله: " فإن كلام الله منه ليس ببائن منه "..

قلتُ معناها: (أن كلام الله صفة قائمة بذات الله)؛ وربما يفهم البعض من كلامي هذا أنني أقرر أن صفة الكلام صفة ذاتية فقط، والأمر ليس كذلك. بل (**الكلام صفة ذاتية وفعلية**): أي أنه صفة ذاتية باعتبار أصله وأن الله متّصف به، وأنه صفة فعلية باعتبار آحاده، فيتكلم الله متى شاء سبحانه وتعالى.

فالصواب أن نقول: (كلام الله صفة ذاتية و فعلية)، صفة ذاتية باعتبار أصله، وصفة فعلية باعتبار آحاده، أي يتكلم الله عز وجل متى شاء بحرف وصوت، وقد بينت في الدرس الماضي نفسه: أن عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله عز وجل أنه يكون بحرف وصوت.

والآن نبدأ بدرس هذه الليلة، وهو الدرس الثامن.

الأصل العاشر: الإيمان بالميزان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

" والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء، ويوزَن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به والإعراض عمّن رد ذلك وترك مجادلته "..

هذا هو الأصل العاشر من أصول هذه الرسالة، وهذا الأصل من خصال السنة التي من أنكرها فليس من أهل السنة.

هذا الأصل هو: الإيمان بالميزان الذي يضعه الله عز وجل يوم القيامة، ونؤمن أنه ميزان حقيقي حسيّ له كفتان، وأنكَره المعتزلة وحرفوا النصوص الواردة فيه بعقولهم، لأن المعطلة كما تعلمون يقدمون العقل على النقل، وهذا هو سبب ضلالهم عن صراط الله المستقيم، فوقعوا في شبهات، فقالوا: (الأعمال لا يمكن أن توزن)؛ يعني الحسنات والسيئات التي يعملها العبد لايمكن أن توزن، لأنها أعراض وليست أجساما!

هكذا زعموا!

فيا سبحان الله! وجوابهم أن نقول: إن الله على كل شيء قدير، ولا نزيد على هذا.

ومن شبهاتهم أيضا قالوا: (إن الله غني عن الميزان فلا يحتاجه لإقامة العدل، إنما يحتاج الميزان الصائغ والبقال)؛ ولذلك أوّلوا الميزان بالعدل، قالوا (الميزان هو العدل)،

ونحن لا ننكر العدل ولكن الميزان شيء والعدل شيء آخر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: 47] أي الموازين العدل.

ففرق الله عز وجل بين الميزان والعدل، وجعل العدل صفة للميزان ولازما من لوازمه، فالعدل شيء آخر.

فإن الله تبارك وتعالى خلق الميزان لإقامة العدل، وهو غني عن الميزان، بخلاف المخلوق الذي يحتاج الميزان لإقامة العدل، المخلوق لا يستطيع إقامة العدل إلا باستعمال الميزان، والله غني

عن الميزان، لكنه تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى، ولا يجوز لأحد أن يرد نصوص الكتاب والسنة الصحيحة برأيه وعقله وأوهامه.

فقال المؤلف رحمه الله: **" والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء "**..

أي: كما جاء في الأدلة من الكتاب والسنة، والميزان ثابت بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة وهو من عقيدة أهل السنة والجماعة.

والأدلة من القرآن كثيرة، منها:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: 47]

والآيات كثيرة في إثبات الميزان.

أما الأدلة من السنة، فقد وردت أحاديث تثبت الميزان، وتبين صفته، وتبين ما الذي يوزن فيه، فقال المؤلف رحمه الله:

" ويوزَن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر".

يوزن في الميزان:

العامل، والأعمال، والصحف.

- والدليل على أن العامل يوزن -أي الشخص نفسه -:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] "[1]

ويدل على ذلك أيضا حديث عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[2]

---

[1] البخاري ٤٧٢٩ ومسلم ٢٧٨٥

[2] أخرجه أحمد ٣٩٩١ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٧٥٠، ٣١٩٢

● أما الدليل على أن الأعمال توزن، فإن الأعمال توزن بلا خلاف عند أهل السنة، والدليل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ» متفق عليه[1]

والشاهد قوله: "ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ".

وهذا الحديث يبين بوضوح أن الأعمال توزن بقدرة الله عز وجل، ولا ندري كيف يكون ذلك، نصدق ذلك ولا ننكر أن الأعمال توزن.

●الأمر الثالث: توزن الصحف، أي؛ الكتب التي كُتِبت فيها الأعمال، ودليل ذلك حديث البطاقة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[2]

هذا الحديث دليل واضح على أن الصحف التي كُتِبت فيها الأعمال توزن، وأيضا فيه دليل على أن الميزان له كفتان.

ثم قال رحمه الله:" والإيمان به والتصديق به ".

أي لا تخوض فيه بعقولنا إنما هو الإيمان به والتصديق بالأدلة الواردة في ذلك والتسليم بها.

---

[1] :البخاري ٦٦٨٢ ومسلم ٢٦٩٤.

[2] أخرجه أحمد ٦٩٩٤ والترمذي ٢٦٣٩ وصححه الألباني في الصحيحة ١٣٥.

ثم قال: "والإعراض عمن رد ذلك وترْك مجادلته "

أي لا نناظر أحدا في الميزان، ولا نخاصم أحدا، والإمام أحمد يكرر هذا الأصل كثيرا في عدد من أصول السنة؛ وهو "تحريم الخصومات في الدين"؛ وخصوصا مع أهل البدع، فإن مناظرة أهل البدع أشد تحريماً، وهي في أمور الغيب أشد وأشد تحريما لأن مسائل الغيب مبناها على الاتباع والتسليم وليس على العقل، فيشدد الإمام أحمد رحمه الله، وحق له أن يشدد على تحريم المناظرة في الدين والمجادلة فيه، لأن خطر ذلك عظيم.

والإيمان بالميزان له ثمرات عظيمة؛

منها أنه من الإيمان بالغيب الذي أخبر الله به،

والإيمان بالغيب من صفات المؤمنين، الذين يؤمنون بالغيب ولا يقيسون الأمور بعقولهم.

وأيضا من ثمرات الإيمان بالميزان؛ أن المؤمن يكون حريصا على تثقيل ميزانه بالحسنات، فيحرص على تكثير الحسنات وتقليل السيئات حتى لا يكون من الخاسرين - والعياذ بالله - كما قال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ(١٠٤) ﴾ [سورة المؤمنون]

نعوذ بالله من الخسران، والآيات كثيرة في هذا المعنى والتي فيها الحث على تكثير الحسنات وتثقيل الميزان بها، والحذر من المعاصي صغيرها وكبيرها.

■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■

الأصل الحادي عشر: الإيمان بالعرض على الله

قال المؤلف رحمه الله: "وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان، والإيمان به والتصديق به ".

هذا هو الأصل الحادي عشر من هذه الرسالة المباركة، **وهو الإيمان بالعرض على الله عز وجل،**

ويتضمن هذا الأصل:

- **إثبات صفة الكلام،**
- **وإثبات الرؤية لله عزوجل في الآخرة بالأبصار.**

وفيه أن الله تبارك وتعالى يتكلم مع عباده بحرف وصوت يسمعونه ويكلمونه، يكلم العبد ربه، فقال المؤلف: " ليس بينهم وبينه ترجمان" أي؛ بلا واسطة وبلا حجاب،

والترجمان؛ هو الذي يعبرعن اللغة بلغة غيرها.

فحري بكل واحد منا أن يستعد لهذا اللقاء العظيم، وهذا العرض على الله عز وجل، فهذا اللقاء وهذا العرض على الله عز وجل من عقيدة أهل السنة والجماعة، فماذا سيقول أولئك الذين ينكرون الكلام وينكرون الرؤية؟!

والأدلة على هذا الأصل متعددة منها:

- حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»[1]

فمعنى الحديث؛ أي: ويكلمهم ويكلمونه ويرونه، يكلمونه بلا واسطة أي بلا ترجمان، ويرونه بلا حجاب يحجبه، فهذا دليل على الرؤية.

والدليل الثاني: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ:

[1] البخاري ٧٤٤٣، ٦٥٣٩ ومسلم ١٠١٦

نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] "متفق عليه:[1]

قوله: " إن الله يدني المؤمن " أي يقرب المؤمن فقط منه سبحانه، أما الكافر فلا يقربه.

قوله: "فيضع عليه كنفه. . " أي يضع عليه ستره.

قال: " ويستره. . " أي لا يفضحه أمام الخلائق.

"فيقول أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي رب " أي: نعم يا رب، فيعترف المؤمن بذنوبه.

هذا الحديث فيه العرض على الله عز وجل فلا يعذب المؤمن، إنما تُعرَض عليه ذنوبه ويقرَّر بها، ويحاسب حسابا يسيرا، ويأخذ كتابه بيمينه.

أما من أراد الله عز وجل أن يعذبه فإنه يناقشه على رؤوس الخلائق، فمن نوقش الحساب عُذِّب، يناقَش ويحاسَب على رؤوس الخلائق ويفضح أمره، وهذا حال الكافر والفاسق - نسأل الله السلامة والعافية.

فنؤمن بهذا العرض ونؤمن أن الله يكلم عباده بلا واسطة، يكلمونه ويسمعونه ويرونه بلا حجاب، فهذا من أصول أهل السنة، ويتضمن كما قلنا: الإيمان بالكلام وبالرؤية والتقرير بالذنوب.

■○■○■○■○■○■○■

[1] البخاري ٢٤٤١، ومسلم ٢٧٦٨

الأصل الثاني عشر: الإيمان بالحوض.

قال المؤلف رحمه الله: **" والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضا يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحّت به الآثار من غير وجه ".**

نعم صحت به الآثار من غير وجه، فأحاديث الحوض صحيحة متواترة رواها جمع من الصحابة، والإيمان بالحوض داخل في الإيمان باليوم الآخر، ومن أنكر الحوض فهو ضال مضل مبتدع.

وجاء في صفته عن النَّبِيُّ ﷺ قال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»[1]

فهو كبير جدا، طوله مسيرة شهر، وعرضه كذلك.

كيزانه: أي الأباريق التي عليه كثيرة جدا كعدد نجوم السماء.

ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من ريح المسك، من شرب منه فلا يظمأ ابدا؛ قال أهل العلم: **(ثم يكون الشرب بعد ذلك للتلذذ)**، إذا شرب العبد من هذا الحوض لا يظمأ بعدها أبدا، ثم يكون شربه في الجنة للتلذذ وليس من عطش.

ومما جاء في أحاديث الحوض أنه يذاد عنه أهل البدع والمرتدون، الذي ارتدوا عن الإسلام - والعياذ بالله - لا يشربون من الحوض، وأيضا أهل البدع لا يشربون من الحوض.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ "[2]

أُختُلِجوا، أي: أُبعِدوا.

---

[1] البخاري ٦٥٧٩ ومسلم ٢٢٩٢

[2] البخاري ٧٠٤٩ ومسلم ٢٣٠٤

ووردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى. وهذه الأحاديث قال فيها أهل العلم: هؤلاء هم الذين ارتدوا من الأعراب زمن أبي بكر الصديق، كانوا مسلمين، ويعرفهم النبي ﷺ، ولكنهم ارتدوا وماتوا على الشرك، فهم الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه،

ومنهم أيضا الذين قاتلوا مع مسيلمة الكذاب، فهؤلاء ماتوا على الشرك - والعياذ بالله - فلا يشربون من الحوض.

وأيضا المبتدع يُطرَد عنه، لقول النبي ﷺ - على لسان الملائكة -: " لا تدري ما أحدثوا بعدك " ، والإحداث عامٌّ يشمل الردة والبدعة.

صاحب البدعة - والعياذ بالله - لا يشرب من حوض رسول الله ﷺ إذا لم يتب منها؛ في وقت يشتد فيه الظمأ، ويعطش الناس عطشا شديدا. . . فالحذر الحذر من البدع.

والحوض مخلوق الآن، نؤمن بذلك ونصدق بخبر رسول الله ﷺ، حيث قال: "وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ"[1]

فنؤمن أن الحوض مخلوق الآن.

وقد أنكر أكثر المعتزلة الحوض، وزعموا أن أحاديثه من الآحاد، والحق أنه متواتر،

ومنهم من أنكره بعقله، فمن أنكره فهو مبتدع، وحري به أن يُحرَم من الشرب منه كما قال بعض أهل العلم، فإنه لا يشرب من الحوض مشرك أو مبتدع كما تقدم، وأجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالحوض.

■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■

[1] البخاري ١٣٤٤ ومسلم ٢٢٩٦

الأصل الثالث عشر: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

قال المؤلف رحمه الله: **" والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتَن في قبورها، وتُسأَل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه، ومن نبيه، ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله عز وجل وكيف أراد والإيمان به والتصديق به ".**

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من الإيمان باليوم الآخر، وهو من أصول العقيدة، وقد أجمع عليه أهل السنة والجماعة بلا خلاف بينهم، وقد أنكر المعتزلة الكثير من أمور القبر ولم ينكروه بالكلية، ذلك لأنهم حكموا عليه بعقولهم،

ومسائل الغيب - كما قلنا من قبل - لا تُعرف كيفيتها، نؤمن بها ونسلّم بها ولا نقيسها بعقولنا، وأحاديث عذاب القبر ونعيمه متواترة تواترا معنويا،

المتواتر منه متواتر لفظي ومنه متواتر معنوي، وستعلمون تفصيل هذا في علم المصطلح، **والتواتر المعنوي معناه أن الأحاديث تكون متنوعة وكثيرة في موضوع واحد**، فقد وردت أحاديث كثيرة عن القبر عن جمع من الصحابة.

والمؤلف رحمه الله أشار بكلامه هذا إلى حديث البراء بن عازب الطويل، وقد اشتمل حديث البراء - وهو في مسند الإمام أحمد وأصله في الصحيحين - على أمور كثيرة من أمور القبر، وأهمها: سؤال القبر، وهي فتنة القبر، وهي فتنة عظيمة مثل فتنة الدجال كما أخبر النبي ﷺ، أُنظر كم فتنة الدجال عظيمة! وقد حذّر منها النبي ﷺ كثيرا، ففتنة القبر أيضا مثل فتنة الدجال، فالأمر ليس سهلا، ويترتب عليها العذاب أو النعيم - نسأل الله العافية - ولذلك أُمِرنا أن نستعيذ بالله منها في كل صلاة.

ولا يثبت في هذه الفتنة العظيمة إلا من ثبته الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

[ابراهيم:27]

نزلت هذه الآية في عذاب القبر. والدليل قول النبي ﷺ: " إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] "[1]

قال البراء: نزلت في عذاب القبر.

فهذه الآية دليل من القرآن على عذاب القبر، وبتفسير رسول الله ﷺ لها، وبتفسير الصحابة، وهذا في الصحيحين كما ترى.

فهذا الدليل يكفينا ويكفي الذين يسألون عن دليل من القرآن على عذاب القبر، والأدلة على عذاب القبر في القرآن كثيرة، وهذا أصرحها.

أما من السنة، فأبرز الأدلة حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وهو كما قلت في الصحيحين مختصرا:[2]

وقد أشار المؤلف إليه فذكر فتنة القبر كما وردت في حديث البراء، وهي أسئلة القبر الثلاث؛ يأتيه الملكان منكر ونكير فيسألانه عن ربه وعن نبيه وعن دينه؛

يُسأَل العبد عن ربه؛ فنؤمن بالله عز وجل بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على مذهب أهل السنة والجماعة.

ويُسأل العبد عن نبيه؛ فنؤمن بمحمد ﷺ، نصدقه ونوقره ونطيعه ونتّبع سنته ونؤمن به وبما جاء به وأنه رسول الله وأنه خاتم الرسل.

ويُسأَل العبد عن دينه؛ فنؤمن بأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، وبركن الإحسان، كما جاء في حديث جبريل.

وجاء في أول حديث البراء هذا قوله ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، وهذا هو الشاهد من الحديث على إثبات عذاب القبر، وهو حديث طويل كما قلنا اشتمل على أمور غيبية عجيبة في حياة البرزخ بعد الموت، من نعيم للمؤمنين وعذاب للكفار والعصاة، أنصحكم بقراءته وتدبره وفهم معناه؛ هذا هو الدليل الأول من السنة على إثبات عذاب القبر.

---

[1] متفق عليه البخاري:١٣٦٩، ٤٦٩٩ ومسلم ٢٨٧١.

[2] البخاري ١٣٦٩، ٤٦٩٩ ومسلم ٢٨٧١، وفي مسند أحمد ١٨٥٤٣ مطولا، وسنن أبي داوود ٤٧٥٣، وسنن النسائي الكبرى مطوّلا ٢١٥٩، وغيرهم.

ومن الأدلة أيضا عن زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ – فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.[1]

الحائط: هو الحديقة المسوّرة بسور.

وحادت به فكادت تلقيه: أي نفرت البغلة نفرة قوية لأنها سمعت عذاب أصحاب تلك القبور، فحادت عن الطريق وكادت توقع النبي ﷺ من شدة نفرتها.

فإن عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الإنس والجن.

تأمّل: تعوذ الصحابة من عذاب القبر على الفور كما أمرهم رسول الله، ولم يسأل أحد من الصحابة عن كيفية العذاب، ولم يخوضوا في ذلك بآرائهم، بل سلّموا وصدّقوا وتعوّذوا بالله من عذاب القبر على الفور، وهذا هو الذي أُمِرنا به، أن نؤمن بعذاب القبر ونصدّق بالأخبار التي جاءت فيه من الكتاب والسنة، وأن نتعوّذ بالله من هذا العذاب.

هذا هو سبيل الصحابة في جميع الأمور الغيبية، وهذه هي سبيل أهل السنة والجماعة: يؤمنون بذلك ولا يخوضون فيه بعقولهم.

ولذلك قال الإمام أحمد: **" كيف شاء الله عزوجل وكيف أراد "** أي: نفوّض كيفية عذاب القبر ونعيمه إلى الله عز وجل، لا نخوض في ذلك بعقولنا، فالخوض في أمور الغيب بالعقل يؤدي إلى الضلال، يؤدي إلى الكفر بها وإنكارها - والعياذ بالله -، أما المؤمن فيسلّم ويصدّق.

نسأله سبحانه الثبات على الحق حتى نلقاه به،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

[1] ما أخرجه مسلم في الصحيح ٢٧٦٨،

أسئلة الدرس الثامن من " شرح أصول السنة "

- السؤال الأول: ما الذي يوزن في الميزان يوم القيامة، أذكر الأدلة على ذلك.
- ج1:يوزن العامل، والأعمال، والصحف.

● دليل العامل: قول النبي ﷺ عن ساقي عبد الله بن مسعود: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» مسند أحمد (3991).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا، {فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥] " البخاري 4729 ومسلم 2785

●ودليل وزن العمل قوله ﷺ: " كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ " متفق عليه: البخاري 7563، مسلم 2694.

●ودليل وزن الصحف حديث البطاقة:

وفيه ان رجلا من أمة محمد ﷺ يَنْشُرُ له تِسْعَة وَتِسْعِون سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ.

فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» أخرجه أحمد 6994 والترمذي 2638

- السؤال الثاني: من عقيدة أهل السنة والجماعة: "إن الله يكلم عباده يوم القيامة بلا واسطة ولا حجاب، أي يكلمونه ويرونه" ما الدليل على هذا؟

- ج2: الدليل: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» متفق عليه، البخاري 7443، 6539 مسلم 1016

- السؤال الثالث: من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالحوض، اذكر دليلا على ذلك.
- ج3: أحاديث الحوض متواترة، منها حديث عَبْد اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»

متفق عليه: البخاري 6579، مسلم 2292

- السؤال الرابع: من الذي يطرد عن الحوض؟ وما الدليل؟
- ج4: المرتد والمبتدع؛والدليل:" إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ " متفق عليه.

- السؤال الخامس: اذكر دليلا من القرآن ودليلا من السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه.
- ج5: أما من القرآن فقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [ابراهيم: 27]

فقد جاء في الصحيحين أنها نزلت في عذاب القبر، وهو قول النبي ﷺ: " الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ "، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] متفق عليه: البخاري: 4699 ومسلم 2861

أما من السنة:

- فحديث البراء بن عازب رضي الله عنه عند أحمد (18534) وغيره، وهو حديث طويل، والشاهد منه قوله صلى الله عليه سلم: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا».

● وأيضا حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»

متفق عليه:البخاري 216 ومسلم 292

والحمد لله رب العالمين.